نشيد الميلاد

للشاعر رومانس المرنم

عربه وعلق عليه الاب نقولاوس قادري ق . ب .

توطئة

من جوهر الشعر ان يكون سرًّا من اسرار الفنون . ولكل شاعر سره الخاص. واذا اردنا ان نستقصي نفسية شاعر علينا ان نلج الى قدس اقداسه الى نفسه العميقة ونسبر غورها ونبدد ما تكاثف فيها من الظلمات . وكلما توغلنا في مجاهل هذه النفس وفي معرفتها العميقة شعَّ لنا منها ضياء متزايد قادنا الى التحسس باسرار الشاعر والى الدخول الى اعماقه وكنوزه. وآنذاك نفهمه ونصبح واياه واحدًا ويضيع الشاعر فينا فنتذوقه ونحسّ باحساساته ونعيش معه ومع بيئته ومحيطه . وما قراءة الشعر الحقيقي ، الا بعثٌ جديدٌ لحياة الشاعر واطوار حياته ، وخلقٌ لزمانه وبيئته الاجتماعية والادبية والدينية.

ونحن إذ نقدم اليوم نشيد الميلاد للشاعر رومانوس المرنم نجتهد في التعرّف الى نفسيته وإحساساته ونقف على بسطة خياله ومدى تفكيره وبُعد رموزه وسموّ شعره وجمال مقطوعاته وغنى الفاظه الموسيقية الساحرة . فان له رموزًا لفظية وطباقات شعرية وجناسات بديعية توقظ في الاديب شعورًا رفيعاً وتفكيرًا عميقاً وجمالًا عاليـاً من الشعر الصافي ، فيشعر بتلك العبقرية الادبية التي تميز بُعد الوحي وصفاء الالهام وسناء الالوهة المنتشرة على هذا الكون في انغام الشعراء.

في احدى الليالي هبط النعاس على رومانس بنوع عجيب فطار وهو في الحلم الى السماوات فرأى نفسه بين اجواق الملائكة والسارافيم ، ردنا منه ملاك وقال له : ما بالك صامت ألا انهض وانشد معنا ترانيم السماء . آنذاك تعلم رومانس الانشاد ولما أفاق من رقاده العجيب أحسَّ بالوحي يهبط عليه ويحرّك شفتيه ويلمس قلبه بنفحات ملؤها الشعر وحفوتها الموسيقى وروعتها نقاء الالهام وكان ذلك في ليلة عيد الميلاد . اسمعه اسمعه في سكون الليل ورهبة الصلاة ! اسمعه

يرسل في الكون الحان السماء ، انشودة الملائكة والشاروبيم .

انظره يرفرف باجنحة الخيال فوق ربوع بيت لحم فإذا بشاهد الميلاد تمرّ امام باصرتيه بتفاصيلها ودقائقها ، واذا بالكون كله يساهم في تكوين الملحمة الاولى الرائعة ملحمة النصرانية ، وتلك الانشودة الساحرة انشودة الميلاد . ومتى سمعت مقدمة النشيد « اليوم البتول تلد الفائق الجوهر » فلا يأخذك العجب بل انتظر النهاية ودع عظمة تلك السلسلة المؤتلفة من اربع وعشرين مقطوعة ، دعها تتوالى على مسمعيك بسلاستها وجمالها المتناهي بالروعة . ومتى سيطرت عليك هذه المقطوعات ضمّ صوتك الى صوت الشاعر وردّد معه هذه الهتافات : « وُلد المسيح ! وُلد طفلاً جديداً الاله قبل الدهور ! »

هذا هو النشيد الذي لبثت مدينة القسطنطينية تتغنّى به حتى ما بعد القرن الثاني عشر في ابهى حفلات البلاط الملكي . هذا هو نشيد الميلاد الذي جمع البساطة الى السموّ والروعة الى الجمال ، والعمل المسرحي الى سرد الحوادث بفنّ وشاعرية .

يُقسم النشيد الى خمسة اقسام :

١ً — استدعاء المؤمنين الى بيت لحم (مقطوعة ١) ؛ ٢ً — صلاة العذراء الى طفلها الالهي (مقطوعة ٢ و ٣) ؛ ٣ — حضور المجوس وحوارهم مع العذراء (مقطوعة ٤ — ١٢) ؛ ٤ً — حديث المجوس عن سفرهم ومثولهم امام هيرودس ومباحثتهم معه ؛ ثم السجود وتقدمة الهدايا (مقطوعة ١٣ — ٢١) ؛ ٥ً — صلاة العذراء وختام النشيد (مقطوعة ٢٢ — ٢٤) .

ويمكننا ان نحدد نوعاً من الاتساق والوحدة في تأليف هذا النشيد . انه يتألف من قسمين اساسيين يحتويان على عدد محدود من المقطوعات . القسم الأول (مقطوعة ٤—١٢) يكثر فيه العمل المسرحي والحوار اللطيف الرشيق . والقسم الثاني (مقطوعة ١٣—٢١) يكثر فيه سرد الحوادث ويتألف من جزئين هما البداية والنهاية . فالاولى تتألف من مقطوعتين (١ و ٢) والنهاية من ثلاثة مقطوعات (٢١—٢٤) وهذان الجزءان يؤلفان سجود العذراء وصلاتها الوادعة .

والمقدمة في مطلع النشيد هي عرض للاشخاص والمكان ، ويدخل فيه الطفل الالهي والام العذراء والملائكة والرعاة والمجوس والكوكب والمغارة والارض . وذلك في العشرة الابيات الصغيرة الاولى . وهذا العرض الموجز يقرب الشاعر رومانوس من الشاعر الافرنسي المسرحي الشهير « راسين » الذي

يعرض تراً في اول مسرحياته الموضوع والاشخاص والزمان والمكان .

وبعد هذا المطلع يحيي الشاعر بيت لحم برموز الكتاب المقدس واقوال الانبياء. ثم يبدأ الحوار اللطيف بين الام ساجدة امام طفلها الالهي تخاطبه خطاب الملوك وهو متوسد مزود البهائم « وفي مغارة غريبة » . وبعدئذ يصل المجوس ويتقدمون من المبيت « يستأذنون بالدخول » فتسأل الام ابنها مثول ملوك المشارق امام « فقره الغني ومسكنته المكرمة » وإذ يدخلون يعربون عن دهشهم من الولادة العفيفة وتؤكد لهم العذراء ان وجود يوسف خطيبها انما هو لصيانة بكارتها من الناليين وللشهادة على ولادتها الالهية. وبعد ذلك يخبرها المجوس ما حدث لهم مع هيرودس والفريسيين ويصفون لها « بابل » الوثنية والمذهلات الصائرة بالكوكب العجيب . ثم يقدمون للطفل الاله هداياهم ساجدين . وينتهي النشيد بصلاة العذراء التي تمثل الكنيسة فتسأل النعمة والخلاص للعالم بأسره .

هذا هو النشيد في مادته وموضوعه وهذا هو الانسجام الخارجي الموضوع لهذه الاربع والعشرين مقطوعة .

وهو ايضاً ملحمة قصيرة يستعرض فيها الشاعر مشهداً من مشاهد الانجيل يتوسع فيه كيفما يقوده خياله وعقله وشعوره . وربما كان هذا اول اناشيد رومانس التي خلقت له الصيت الخفاق من شواطئ بيروت حتى شواطئ البوسفور .

ونشيد الميلاد هو بالحقيقة من اجمل الاناشيد واخصبها فكرة واروعها معنى واغزرها انطلاقاً واطلقها خيالاً واوسعها مدى واعمقها درساً لنفسيات عدة واجزلها شعراً وموسيقى .

فهناك نفسية الأم العذراء. تظهر اللطف بالذات والحنان والوداعة :« انت لي مجد ، انت لي فخر فلست اخجل . انت انت النعمة وزينة هذا المسكن وجمالي »[1]. وهي الاناقة العالية : « أشاهدكَ بالقمط وزهرةَ بكارتي لم تغضّ ، انتَ حفظتَها حين ارتضيتَ ان تولد طفلاً جديداً وانت الإله قبل الدهور »[2]. ويلي هذه العاطفة شعور عميق يمتزج باعجاب وذهول : « اراكَ ، يا حشاشتي فاذهل ، لاني ارضعك ولم اقترن بزوج . »[3]

وتبقى هذه الام الفتية نشيطة جريئة : « للحال صرخت العذراء بالمجوس :

١) مقطوعة ٧ ٢) مقطوعة ٣ ٣) مقطوعة ٣

من انتم »[1]. ثم تلبث في حديثها مع ابنها ذاهلة ولكنها متسامية : « قل لي ، بني كيف زرعت ، كيف نشأت في ؟ »[2] وتريد ان تدوم في رتبتها ولو اصبحت اماً للاله فهي « تسكن المغارة التي سكنها بارادته ابنُها الطفل الجديد »[3]. ثم تذهل من محبة الله للناس فتسأله : « ايها الملك الرفيع مالك وللفقراء ؟ يا صانع السماء لِمَ اتيت الى ابناء الارض ؟ »[4].

وهي مع محبة طفلها تحب البشرية وتشعر برسالتها العميقة والبعيدة المدى فتشعر بأنها ام البشرية : « بما اني لست لك وحدك اماً . . . فانا اسألك من اجل الجميع ؛ انت اقتني لأكون فداً ومجداً لجنسي كله . »[5]

وهناك نفسية المجوس المخلصين لصوت الايمان يتكلمون باحترام ووقار امام الأم واذا ما استفسروا فمن باب الدالة والشعور بالمسؤولية : « وأنتِ من تكونين وقد انجبتِ طفلاً كهذا ؟ مَن ابوكِ ؟ ومن امكِ حتى صرت اماً وحاضنة ابن بغير أبَ »[6]. ثم انهم يستفهمون كفافاً عن وجود رجل داخل خدر العذراء : « فمن اين لك ، يا عذراء ، هذا الزوج الذي نراه في خدرك ؟ أليس ايلادك لا دنس فيه ؟ »[7]. ولكن عندما يسمعون الى الاسباب التي تعطيها مريم لوجود يوسف معها يطمئن قلب المجوس الأمناء ويخبرونها بوضوح عن سفرهم ثم يسجدون للطفل ويقدمون له الهدايا : « قدم المجوس بأيديهم الهدايا وسجدوا لهدية الهدايا وطيب الطيوب »[8]. نفسية المجوس تظهر غنية بمحبة الحقيقة وينبحثون عنها باخلاص : « أتريدين ان تعلمي من نحن ومن اين أتينا ؟ من ارض الكلدانيين . من بابل . تركنا نارًا تلتهم كل شيء ، فشاهدنا نارًا ندية »[9]. ولاجل الوصول الى هذه الحقيقة طافوا المدن ومروا باخطار عديدة : « لقد جزنا في متاهه الارض وسبرنا اغوارها ونحن نبحث عن ضياء الكوكب اين يولد طفلاً جديداً الاله قبل الدهور »[10].

وتكثر في هذا النشيد الصور الشعرية الرمزية التي تجعل من رومانس شاعراً عبقرياً يضاهي اكبر الشعراء على مر العصور .

---

١) مقطوعة ٥ ٤) مقطوعة ٢ ٧) مقطوعة ١٠ ١٠) مقطوعة ١٤
٢) مقطوعة ٣ ٥) مقطوعة ٢٣ ٨) مقطوعة ٢١
٣) مقطوعة ٦ ٦) مقطوعة ٥ ٩) مقطوعة ١٣

احمه يتكلم بتصاوير دانتي : « ابو الأم يفدو ابنها عن رضى »[1]. وبهذا المعنى انشد الشاعر الطلياني في الكوميديا الالهية : ايتها الأم العذراء ، يا ابنة ابنك
[2]Vergine Madre, Figlia del tuo Figlio

ومن جمالات هذا النشيد الاستعارات الجريئة : « اسمح ، بني ، ان يلجوا حماك فيشاهدوا فقرك الغني ومسكنتك المكرمة ! »[3] ومنها قول العذراء لابنها وهي تجعل من الاشياء اشخاصاً : « أعشقت المغارة ؟ ام استهواكَ المذود ؟ »[4] وهناك الروعة في الاناقة واللطف مشهد العذراء الأم : « وانحنت ساجدة للتكوّن من احشائها »[5]. وقولها اللطيف في آخر النشيد : « واذهب الى مصر هاربة معك لاجلك يا قائدي ، يا ولدي ، يا خالقي ، يا منقذي ، ايها الطفل الجديد الاله قبل الدهور ! »[6] هذه النبرات اللطيفة تتفجر من ينبوع المحبة الوالدية التي تحب ابنها حتى الهيام وحتى العبادة فتصرخ بفعل ايمان قوي هو صدى محبتها لابنها : « ايها الطفل الجديد الاله قبل الدهور » ومنها مشهد الملوك يسجدون لهدية الهدايا وطيب الطيوب .»[7]

ومن جمالات هذا النشيد حسن التلاعب باللفظة الواحدة يحتلها رومانس الشاعر معاني كثيرة توحي رموزاً عدة واوحات ومشاهد من الكتاب المقدس فيمر رومانس بلباقة من معنى الى معنى ومن صورة الى صورة حتى يصل الى تصوير الرمز العميق الذي يريده للفظة الواحدة . هكذا يتلاعب مثلاً في لفظة « نجم » في المقطوعة الخامسة فيستعملها ست مرات الى ان يصل الى تصوير النجم الحقيقي يسوع المسيح وهكذا يتلاعب بلفظة باب كما في المقطوعة التاسعة اذ يمر رومانس بلباقة ورشاقة من تصوير الباب الذي جاءت صورته في حزقيال (٤٤—٢) الى الباب المادي الذي فتحته العذراء المجوس الى الباب المعنوي الدال على احشاء العذراء الذي دخله المسيح وحده وبقي مغلقاً الى ان ينتهي بالباب يسوع المسيح الباب السماوي الذي يفتح لابناء البشرية ويدخلها الى السماء « انا هو الباب ومن يدخل فيَّ يجد المرعى » (يوحنا ١١—١٤)

---

١) مقطوعة ٣ ٤) مقطوعة ٣ ٦) مقطوعة ٢٦
٢) La Divina Commedia Paradis. chant 33 (vers1) ٥) مقطوعة ٦ ٧) مقطوعة ٢١
٣) مقطوعة ٧

ومن جمالاته ايضاً تلك الرموز الى آيات الكتاب المقدس ومشاهده العديدة ففي كل مقطوعة يعطي الشاعر اشارة الى مشهد منه او الى آية من آياته البينات وفي ذلك يفتح للقارئ نوافذ عديدة تطل على مشاهد واسعة . فمن بئر لم تحتفر اشتهى داود ان يشرب منها ، اشارة الى عطش داود حينما كان يحارب جيش الفلسطينيين الى ثمار الفردوس حيث كان يتخطى آدم قبل الخطيئة ونجم يعقوب ونبوءات بلعام الى عليقة موسى الملتهبة وغير المحترقة وعصى موسى تشق الصخرة الصلدة وعمود النار يقود بني اسرائيل في البرية وهرب بني اسرائيل من مصر واغتذائهم بالمن الى تعب حبقوق الذي اتخذ الطعام لدانيال وهو في جب الاسود كلها اشارات ورموز توحي كثيراً من المعاني بالفاظ يسيرة .

ولا يترك القارئ هذا النشيد الا واستأثر به الشاعر وملك على قلبه وعقله وخياله فيشعر بالحاجة الى ترك نار المادة تلتهم فيه ما هو سام ورفيع ويشعر بأنه لا يقرب من جوهر الشعر الا متى احس بنار الالوهية اي بتلك « النار الندية » تغدق عليه الصفاء والوحي الرطيب واذا بالالفاظ تعبّر عما شاهده رومانس عن نار ندية عن اله يغدق بتولده اللطف والايناس والطهر والمحبة فيرى في الكون بعينيه ما رآه الشاعر الافرنسي پول فاليري في قصيدة المدافن البحرية « ناراً بدون مادة »[1] Un feu sans matière .

والشيء الخاص بشاعرية رومانس هو تلك النظرة الخاطفة للاشياء وللصور ينظر الى الصور بعين تلتهم الالوان فيصور بالالفاظ ما تشعر به النفس في الاعماق او ما يصوره الفنانون بالالوان وله نظرة عميقة الى نفسية الاشخاص الذين يتبارون على مسرح اناشيده وله موهبة عجيبة فريدة للتعبير عما يحس ويشعر ويفكر . وخصوصاً له فن رائع في جمع الاصوات بنوع شتى فتخال وانت تقرأ اناشيده انها مجموعة من الاصوات والاجواق المتباوقة تتردد في مسمع البرايا نبرات ساحرة وايحاءات واثبة . فرومانس حقاً هو من ناثري الافكار على انطلاق واسع خصيب يضم في اناشيده روعة الادب اليوناني ورشاقة ولباقة الشعراء الكبار على مر العصور .

---

(1) Paul Valéry: Le cimetière marin, strophe X

نشيد الميلاد[1]

للقديس الشاعر رومانس المرنم

مقدمة

اليوم البتول
تلد الفائق الجوهر
والأرض تقرب المغارة
لغير المقترب اليه ؛
الملائكة مع الرعاة
يمجدون ،
والمجوس مع الكوكب
يسيرون ،
لانه من اجلنا وُلد
طفلا جديدا ،
الاله قبل الدهور .

(١) Guiseppe Cammelli. *Romano Il Melode Inni.* P. 88-119. Edizioni Testi Christiani 1930.

١) هلم ننظر بيت لحم
فقد فتحت عدنا!
هيا فنجد النعيم
في الخفاء،
هلم نجني ثمارَ الفردوس
داخل المغارة!
هناك ظهر
اصل بغير سقي
يتفرع منه الغفران،
هناك وجدت بئر
لم تحتفر،
اشتهى داود قديما
ان يرتوي منها[٢].
هناك عذراء
حينما ولدت طفلا
اروت للحال
ظمأ ادم وداود
لنسرع الى حيث وُلد
طفلا جديداً،
الالهُ قبل الدهور.

٢) ابو الأم
يفدو ابنها عن رضى[٣]؟
مخلص الأطفال
يتوسد المذودَ طفلاً؟
تأملته امه،
فهتفت:
«قل، لي، بني،
كيف زرعت؟
و كيف نشأت فيّ؟
ازاك، يا حشاشتي،
فأذهل
لأني ارضعك
ولم اقترن بزوج؟
اشاهدك بالقمط
وزهرة بكارتي
لم تفضّ،
انت حفظتها
حين ارتضيت ان تولد
طفلا جديدا،
وانت الاله قبل الدهور

٢) سفر الملوك الثاني ٢٣-١٥ (فتأوه داود وقال من يسقيني ماء من بئر بيت لحم؟)
٣) راجع الكوميديا الالهية لدانتي الشاعر الطلياني في النشيد الثالث والثلاثين من الفردوس
Vergine madre, *figlia del tuo Figlio*, (vers 1)

٣) ايها الملك الرفيع، ٤) ٧٥ بينا كانت تستسيغ
٥٥ ما لك وللفقراء ؟ هذا في سرها
يا صانع السماء، وتصلي الى عارف الخطايا
لِمَ اتيت الى ابناء الأرض؟ سمعت المجوس
أعشقت المغارة ؟ يبحثون عن طفلها
أم استهواك المذود ؟ ٨٠ للحال صرخت العذراء بهم:
٦٠ انظر ليس في القرية « من انتم ؟ »
من مكان لأمتك . وهم اجابوا :
وما لي اقول مكان، « وانت من تكونين
حتى ولا مغارة وقد انجبت
٦٥ لان هذه ايضا، ٨٥ طفلًا كهذا ؟
هيَ لآخر غريب . من ابوك ؟
سارة لما ولدت ابنا ومن امك
أعطي لها حتى صرت اما
ميراث من الارض فسيح، وحاضنة ابنٍ
٧٠ واما انا فلا مأوى لي . ٩٠ بغير أب ؟
لكني اسكن المغارة فقد رأينا نجمه ٥)
التي سكنتها بارادةٍ حكمنا بانه
طفلًا جديدا، يُظهر طفلًا جديدا
وانت الاله قبل الدهور ٩٥ الاله قبل الدهور . »

٤) راجع انجيل متى ٨—٢٠
٥) متى ٢ — ٢

٥) اجل ! أعدّنا بلهامُ باعتناء
لندرك النبوّات
التي تنبأ عنها
قائلا :
« سوف يُشرقُ نجم ،[٦]
نجم يُخمدُ
جميع العِرافات
والعيافات ،
نجم يحلُّ
امثال الحكماء
واقوالهم وألغازهم .
نجم النجم
الذي هو أوفر ضياء
من الشمس التي تنيرنا
بما انه خالق
جميع النجوم ،
وعنه قد كتب :
« من يعقوب يُشرق[٧]
طفلا جديدا
الاله قبل الدهور . »

٦) سفر العدد ٢٣—٢٣
٧) سفر العدد ٢٤-١٧

٦) عندما سمعت مريم
هذه الاقوال العجيبة
انحنت ساجدة
للمتكوّن من احشائها ،
وهتفت ببكاء :
بني ، ما اعظم
اجل ، ما اعظم
كل ما صنعت .
مع حقارتي ،
ها ان المجوس
ملوك المشارق
خارجاً يبحثون عنك ،
واغنياء شعبك[٨]
يستعطفون وجهك
طالبين أن ينظروك .
ان هؤلاء هم
شعبك حقا ،
وقد عرفوك
طفلا جديدا
وانت الاله قبل الدهور . »

٨) مزمور ٤٤—١٣

٧) وبما انهم شعبك الخاص ٨) ١٦٠ ان يسوع المسيح
فاسمح ، بني والهنا الحقيقي
١٦٠ ان يلجوا حماك ، أسرّ في الخفاء
ويشاهدوا فقرًا غنيًا ، الى قلب امه ،
ومسكنة مكرمة. وقال لها :« ادخلي المجوس
انت لي مجد ، [9] ١٦٥ الذين جذبتهم بكلمة :
١٦٥ انت لي فخرٌ ، لان كلمتي اشرقت لهم
فلست اخجل. وهم يبحثون عني ،
انت انت النعمة [10] وهذه الكلمة
وزينة هذا المسكن ؛ هي نور للعيون
وجمالي ، ١٧٠ وقوة للنفوس؛
١٥٠ فأذن الان هي الكوكب الذي
ان يدخلوا هذا الحمى. رافق المجوس
لا يهمني فقري ، كخادم لي ،
اذ انت كنزي. ووقف بعد ان
ها قد اتى الملوك ١٧٥ اكمل خدمته ،
١٥٥ لينظروك ، ودل باشعته
وعرفوا مع المجوس على المكان الذي
انك ستظهر ولدت فيه
طفلا جديدا طفلا جديدا ،
وانت الاله قبل الدهور» ١٨٠ انا الاله قبل الدهور.

٩) يشوع بن سيراخ ١ : ١١ ١٠) يوحنا ١ : ١٤

(٩ إقبلي الان ، يا عفيفة ،
إقبلي الذين قبلوني ،
لاني فيهم
كما انا على ذراعيك ؛
١٨٥ اتيت مع هؤلاء
وما فارقتك ».
اما هي ففتحت الباب ،
وتقبلت
نخبة المجوس.
١٩٠ فتحت الباب
من هي باب مغلق للجميع[11]
الذي اجتازه المسيح وحده
فتحت الباب
من هي ابدا مغلقة
١٩٥ غير مسلوبة
كنزُ بكارتها ؛
فتحت الباب
من وُلد منها
باب السماء للعالم ،
٢٠٠ طفلا جديدا ،
الاله قبل الدهور.

١٠) حينئذٍ دخل المجوس
الى الخدر ،
ولما ابصروا المسيح
٢٠٥ خافوا ؛ لانهم شاهدوا
امّ الصبي
وزوج امه
فهتفوا بخوف :
« هذا الابن
٢١٠ لم يولد من رجل ؟[12]
فمن اين لك ، يا عذراء ،
هذا الزوج
الذي نراه الآن
داخل خدرك ؟
٢١٥ أليس إيلادُك
لا دنس فيه ؟[13]
فلتكن بلا ملامة
مساكنتُك ليوسف
فالحُسّاد كثيرون
٢٢٠ يبحثون عن مولد
طفل جديد ،
هو الاله قبل الدهور. »

١١) حزقيال ٤٤-٢ ١٢) عبرانيين ٧-٣ ١٣) سفر الاحبار ٢١-٢٣

١١) « قالت مريم للمجوس
سأبين لكم
لأي الاسباب احتفظ
بيوسف في مسكني :
لأضع حدّ الأقوال الثالبين.
انه الشاهد الذي سيخبركم
بجميع ما سمعه
عن ابني .
لانه فيما كان نائما
ابصر بالحلم ملاكا قديسا[14]
اعلمه كيف حبلت انا.
فرؤية هذا الروح الناري[15]
تحققت ليلا
ومرّ يوسف من الارتياب
الى تمام اليقين ،
وتخلص من الأوهام
التي كانت تقلقه
فهو يعيش معي
مبرهنا على ان هذا
الطفل الجديد
هو الاله قبل الدهور ؟ »

١٢) سيحدثكم يوسف بوضوح
بجميع ما سمعه ،
ويبشركم بدقة
بجميع ما شاهده
من المدهشات السماوية
والارضية .
ويحدثكم كيف تسبح
الارواح النارية[16]
مع ابناء الارض
تسابيح الرعاة .
بينما ان الكوكب النير
ظهر لكم ايها المجوس
وقادكم في سفركم .
إلا دعوا المقولات
واخبرونا الان
عن الصائرات معكم
من اين أتيتم ؟
و كيف عرفتم
ان قد ظهر
طفلاً جديدا
الاله قبل الدهور ؟

١٤) متى ١ — ٢٠ ١٥) خروج ٣ — ٢ ١٦) لوقا ٢ — ٨ و ٩

١٣) ٢٦٥ بعد ان قالت لهم المنارةُ ١٤) ألا كل شيء باطل
هذه الاقوال كلها ؟ ٢٨٥ وباطل الاباطيل! [٢٠]
هتف بها مصابيحُ المشرق : ولكن ان يفكر احد
« أتريدين ان تعلمي في هذا فلن يضل ابدا .
من نحن ومن اين اتينا ؟ الناس بعضهم ضالون
٢٧٠ من ارض الكلدانيين والبعض مضلون .
حيث لا احد يقول : ٢٩٠ فيا ايتها العذراء ،
« إله الالهة الرب ! »[١٧] النعمة لوليدك الذي به تحررنا ،
من بابل لا من الضلال فحسب ،
حيث يجهل الناس بل من اخطار الاماكن
٢٧٥ مَن خالق النور ليعبدوه . التي قطعناها ،
لقد اتى الى هنالك واخطار الشعوب
شعاع ضئيل من طفلك هذا التي لا تعرف الاله ،
وقادنا من نار بابل ؟ [١٨] ٢٩٥ واخطار اللغات المجهولة .
تركنا نارًا تلتهم كل شيء ، لقد جزنا في متايه الأرض ،
٢٨٠ فشاهدنا نارًا ندية[١٩] وسبرنا اغوارها
تعطي النور الحقيقي ٣٠٠ ونحن نبحث على ضياء الكوكب
طفلا جديدًا ابن يولد طفلا جديدا .
الاله قبل الدهور . الاله قبل الدهور !

١٧) سفر تثنية الاشتراع ١٠-١٧
١٨) دانيال ٣-٢٥
١٩) Paul Valéry : *Le Cimetière marin, strophe X* : « Fermé, sacré, plein d'un feu sans matière »
٢٠) سفر الجامعة ١-٢

١٥) وبينما كان يُضيء لنا
هذا المصباح ،
طفنا اورشليم كلها ،
مكملين اقوال الانبياء
وباحثين عن حقيقتها ؛
و كنا سمعنا بان الله قاصدٌ
ان يفتقد اورشليم[٢١]
وبفضل هذا المصباح
جزنا المدينة كلها
علّنا نجد فيها
الحجة الكبرى
فلم نجدها ،
لان الفلك كان
قد رفع عنها
صحبة الاشياء الثمينة
التي كانت قديما .
لقد زالت القديمات .[٢٢]
وجدّد كل شيء
طفل جديد ،
الاله قبل الدهور . »

١٦) اجل ! قالت مريم
للمجوس الامناء :
« هل طفتم اورشليم كلها ،
اورشليم تلك المدينة
قاتلة الانبياء ؟[٢٣]
كيف استطعتم العبورَ فيها
دونما اذى
على الرغم من انها
بغيضة لدى الجميع ؟
كيف تملصتم من هيرودس
ذاك المتلهّب الى الدماء
خلافاً لما تسنه الشرائع ؟ »[٢٤]
اما المجوس فقالوا لها :
« ايتها العذراء ،
لم نتملص منه
ولكن سخرنا به ،[٢٥]
و كنا مع الجميع
نبحث اين يولد
طفلا جديدا ،
الاله قبل الدهور ! »

٢١) صفنيا النبي ١-١٢ ٢٣) لوقا ١٣-٣٤ ٢٥) متى ٢-١٧
٢٢) كورنتس ٥-٧ ٢٤) اعمال ٩-١

١٧) ان والدة الاله
لما سمعت اقوال المجوس
قالت لهم: « ماذا سألكم
الملك هيرودس والفريسيون؟»
« ان هيرودس اولا ،
وعظماء امتك ، كما قلتِ ،
تحققوا منا بدقة
عن زمان النجم
الظاهر الآن ،[٢٦]
ولما عرفوا ذلك
حسبوا نفوسهم جهلاء
ولم يرغبوا ان يشاهدوا
من كانوا يبحثون عن معرفته
فلو عرفوه
لبحثوا عنه ،
فقد كان مجديا
للباحثين
ان يشاهدوا
طفلا جديدا ،
الاله قبل الدهور ! »

١٨) ان الحمقى حسبونا مثلهم حمقى
فسألونا مستفسرين :
« من اين اتيتم ؟
ومتى اتيتم من بلادكم ؟
كيف لم تسلكوا
سُبلا ظاهرة ؟ »
فسألناهم بدورنا
عما يعلمون :
« وانتم كيف سلكتم قديماً
ذلك القفر الواسع ؟
ان الذي قادكم
عندما كنتم تهربون
من شواطئ النيل ،
هو هو قادنا في سفرنا
ودعانا اليه الآن
من بلاد الكلدانيين .
أما قديماً فبعمود من نار ،[٢٧]
واما الآن فبكوكب يُظهر
طفلا جديدا ،
الاله قبل الدهور .

٢٦) متى ٢ — ٧
٢٧) سفر الخروج ١٣ — ٢١

١٩)« كان الكوكب يقود خطانا
في كل مكان ،
كما صنع موسى قديماً
حينما أطلع لكم عصاه ، (٢٨)
فأثاركم بالحقيقة الالهية .
انتم في القديم
غذاكم المن
وروتكم الصخرة الصلدة . (٢٩)
واما نحن فامتلأنا
من الرجاء بهذا الطفل ،
وارتوينا من نعيمه .
فما خطر بفكرنا ونحن بفارس
ان نعود الى الوراء
او نسلك سبيلا غير مسلوك .
بل كنا نشتاق
ان نشاهد الصبيّ
ونسجد له
ونمجده
طفلا جديدا
وهو الاله قبلَ الدهور . »

٢٠) هذا ما صرّح به
المجوس المخلصون ،
فاطمأنت اليهم
العذراء المجيدة ،
واثبت الطفل
كلام الفريقَين :
كلامَ البتول
اذ جعل احشاءها طاهرة
بعد الولادة ،
وكلامَ المجوس
اذ لم يُظهر الوهنَ
لا في رغبتهم ولا في خطواتهم؛
لان كلا منهم
تحمل التعب
مثل حبقوق النبي
عندما ذهب الى دانيال
فانه لم يشعر بالمي . (٣٠)
فالذي ظهر قبلا للانبياء ،
هو هو اظهر ذاته للمجوس :
طفلا جديدا ،
هو الاله قبلَ الدهور . »

٢٨) سفر الخروج ١٦—٣١ ٢٩) سفر الخروج ١٧—٥ ٣٠) سفر دانيال ١٤—٣٦

٢١) وبعد كل هذا الحديث،
قدم المجوس
بأيديهم الهدايا وسجدوا
لهدية الهدايا
وطيب الطيوب.
قدموا للمسيح
ذهبا ولبانا
ومرًّا،
وهتفوا: «إقبلْ
هديتنا المثلثة الاجناس
كما تقبل تسبيح السارافيم
الثلاثي التقديس.
ولا تعرض عنها
كما اعرضت قبلا
عن تقادم قايين،[٣١]
بل احتضنها
كذبيحة هابيل،
بشفاعة امك
التي وُلدتَ منها
طفلا جديدا،
وانت الاله قبل الدهور.»

٢٢) ان المدراء الطهور
لما نظرت المجوس سُجَّدا
يحملون بايديهم
هدايا طريفة وفاخرة،
وكوكبا يبدو
ورعاة تشدو
لخالق البرايا وسيدها
توسلت اليه قائلة:
«بني، اقبل
تثليث الهدايا
واعطِ التي ولدتك
طلباتها الثلاث:
اني اسألك
لاجل اعتدال الهواء
وثمار الارض
ولاجل الساكنين فيها.
سالم الجميع
من اجلي،
لانك ولدت
طفلا جديدا،
وانت الاله قبل الدهور.

(٣١) سفر التكوين ٤ — ٤

٢٣) ايها الابن الحنون ،
بما اني لست لك وحدك اماً ،
فلا غرو ان ارضعتك
٢٧٠ انت ، يا رازق اللبن ،
ولكني اسألك
من اجل الجميع .
أنت اقتني
لاكون فاً ومجداً[٢٢]
٢٧٥ لجنسي كله .
وسيحرزني عالمك
سترا عزيزا
وسورا وثباتا ،
والي سينظر
٢٨٠ المنفيون
من نعيم الفردوس ،
لاني سأعيدهم
الى نعيم المعرفة
انا التي ولدتك
٢٨٥ طفلا جديدا
وانت الاله قبل الدهور

٢٤) خلص العالم ، يا مخلص ا
لانك لهذا اتيت .
واجعل الكائنات لك
٢٩٠ فلهذا أشرقت
لي وللمجوس
ولكل الخليقة .
هوذا المجوس
الذين أطلعت لهم
٢٩٥ شعاع وجهك
يسجدون
مقدمين لك هدايا
فاخرة ومفيدة
وغالية الثمن .
٣٠٠ انا استعين بها
واذهب الى مصر
هاربة معك لاجلك
يا قائدي ، يا ولدي ،
يا خالقي يا منقذي ،
٣٠٥ ايها الطفل الجديد
الاله قبل الدهور !

٢٢) سفر الخروج ٤ — ١٦